



حبلنا الممضوم!!... الوفاء النادر!!

د. صادق السامرائي

الطبيب النفسي، العراق / أميركا

حبلنا الممضوم!!

الهزيمة: الظلم والغضب

كنا في كلية الطب نداعب أحلامنا الوردية ونحلم بمستقبل سعيد ، وألفة ومحبة وأخوة وطنية ، ولا نعرف ما يُسمى اليوم بالإنتماءات بأنواعها ، كنا أخوة معتصمين يحبل الوطن ، وبمستقبله المشرق الواعد الجميل ، وكل منا يشحذ همته ويستجمع قوته للوصول إلى ما يريده من أملٍ أثيل.

وما أن تخرجنا من كلية الطب حتى أقحمونا في حرب موجعة تأكل الأخضر واليابس ، ولا زلت متعجبا من الذي قالها بوجهي : " كلكم أبنائي ، وأتمنى أن أضع وراء كل جندي طبيب!!"

وهكذا كان مصيرنا وراء الحجابات ، وفي أفواج لا نستطيع فيها عمل شيء ، سوى إنتظار الموت ، وفقدت العديد من الزملاء ، وكتبت شهادات وفاة لعدد منهم ، وكانت دموعي تغالبني ، وحيرتي تتملكني ، لماذا يموت الشباب المترع بالطموحات بهذه الطريقة القاسية؟

تأثر زملائي ، وغابوا ، والتقيت بعضهم بعد الأسر ، ولا أدري كيف نجوت من الموت والأسر الذي كاد أن يلتهمني لمرات.

كانت أياما قاسية إرتبطت بالموت أكثر من إرتباطها بالحياة ، والمحظوظ منا من خرج منها بلا عاهة أو إصابة موجعة.

لماذا تم رمي مئات الأطباء في سوح الوغى وفي خنادق كأنها أعدت قبورا لهم ، وعليهم أن يذعنوا ويستكينوا ، فالموت يلتف حول أعناقهم.

زميل لي كان يجالسني وقت العصر في مستشفى العمارة الجراحية للطوارئ ، وذهب لمبادلة زميل كان عائدا من إنكلترا قبل ستة أشهر ، وحاصل على شهادة الأم آر سي بي ، وإذا بي أواجه جثتيهما في اليوم التالي!!

تلك حرب علينا أن لا نظمرها بما تلاها من تداعيات ، لأنها من أبشع حروب القرن العشرين ، وكنث أدون يومياتها في كتاب لكنه تطاير مع الريح عندما حاول الموت إلتهامي.

لا أريد أن أسطر أسماء زملائي الذين أصابهم ما أصابهم من وجيع الحرب ، لأن الذكريات مؤلمة ، ولكل منا صندوقه الأسود ، وإستحضارها يثير شجونا ومواجعا ويُذرف دموعا ، فهل كنا نتصور مصير بسام ونوئيل وزملاء آخرين؟

كان الموت يجالسنا في الخنادق ، مع الجردان والفئران ، والأفاعي ، وأنواع الحشرات التي تساهم في تقليب مواجعنا ، وتنافرنا وتنافرنا نكون هدفا سهلا لقناص يتربص بنا.

لا زلت أذكر ذلك الشاب البريء الذي تزوج قبل أسبوعين ، وكان يحمل أوراق تقديم إجازته لأمر الفوج ، فاغتاله قناص قبل أن يدخل خندق الأمر ، وذهب بالتأبوت إلى عروسته.

كنا في كلية الطب نداعب أحلامنا الوردية ونحلم بمستقبل سعيد ، وألفة ومحبة وأخوة وطنية ، ولا نعرف ما يُسمى اليوم بالإنتماءات بأنواعها ، كنا أخوة معتصمين يحبل الوطن ، وبمستقبله المشرق الواعد الجميل ، وكل منا يشحذ همته ويستجمع قوته للوصول إلى ما يريده من أملٍ أثيل.

ما أن تخرجنا من كلية الطب حتى أقحمونا في حرب موجعة تأكل الأخضر واليابس ، ولا زلت متعجبا من الذي قالها بوجهي : " كلكم أبنائي ، وأتمنى أن أضع وراء كل جندي طبيب!!"

تأثر زملائي ، وغابوا ، والتقيت بعضهم بعد الأسر ، ولا أدري كيف نجوت من الموت والأسر الذي كاد أن يلتهمني لمرات.

لماذا تم رمي مئات الأطباء في سوح الوغى وفي خنادق كأنها أعدت قبورا لهم ، وعليهم أن يذعنوا ويستكينوا ، فالموت يلتف حول أعناقهم.

وكم مرة نجوت من موت محقق , ومن حصارات ومداهمات , وصولات بشر لا يعرف سوى أن يقتل , ويؤمن بأن القتل يقربه إلى ربه الذي يتعبد في جبته.

عندما تتحول العقائد إلى أوهام تحل الفواجع ويحترق الإنسان!!

ولا زلت أتألم على كتابي (روايتي) الذي سرقة مني رياح الموت الهوجاء , وقد ألقنتني في وادٍ تناهبتني فيه النور , التي خدعت الآخرين بأنها تحتفل بإفتراس جثة هامة , فشكرا لها لأنها أنقذتني من موت محقق.

تحياتي وإحترامي للزملاء الذين خرجوا أحياءً من خنادق الموت الحتمي , والوجود العبثي خلف حجابات النهايات الداهية.

فهل وجدتم طبيبا في تأريخ البشرية يمارس عمله في خندق يفصله عن قاتله أقل من ألف متر؟ ومعدرة لأن بعض الزملاء بتعليقاتهم فتحوا أنابيب الذكريات.

نحو موتٍ أخذونا كلنا
غاب بعضٌ وثَبَّقى بَعْضُنا
يا زميلي ما مَحَوْنَا جُرْحَها
إنَّها حربٌ أعاقتْ جيلنا
كَمْ فَقَدْنَا من عَزِيزٍ حالمٍ
كَانَ يَسْعَى كَمُنِيرٍ بَيْنَنا

لا أريد أن أسطر أسماء زملائي
الذين أصابهم ما أصابهم من
وجيع الحرب , لأن الذكريات
مؤلمة , ولكل منا صندوقه
الأسود , وإستحضارها يثير
شجوننا ومواجعاً ويؤذنه دموعنا
, فهل كنا نتصور مصير بَسام
ونونيل وزملاء آخرين؟

عندما تتحول العقائد إلى
أوهام تحل الفواجع ويحترق
الإنسان!!

تحياتي وإحترامي للزملاء الذين
خرجوا أحياءً من خنادق الموت
الحتمي , والوجود العبثي خلف
حجابات النهايات الداهية.

الوفاء النادر!!

كان معنا من المجموعة العسكرية التي درست البورد العراقي في الطب النفسي , وكان من مدينة كربلاء , وصاحب رتبة عسكرية ودرجة حزبية , ولأ أدري أفضيت له عبر لقاءاتنا عما يجيش في صدري , وقلت له كلاما خطيرا يمكنه أن يلقي بصاحبه في غياهب العدم , لكنه كان أمينا ووفيا وما أباح بأسراري , وكان الوحيد الذي يعلم عن نيتي في مغادرة البلاد , وعدم قناعتي بما تجري عليه الأمور في بلد تقوده العواطف والإنفعالات والأوهام العقائدية , وكم مرة قال لي أعرف ما يجول في خاطرك , وعليك بالصبر.

وغادرت البلاد وتواصل معي , لكنني سمعت بخبر وفاته المفاجئ , كان صديقي الوفي يعاني من مشكلة في قلبه وكم مرة رقد في المستشفى بسبب إضطراب دقات قلبه , ويبدو أنه أهمل الموضوع وتمادى في التدخين, حتى توقف قلبه بغتة وغادر مدينة الحياة.

هو من كربلاء وأنا من سامراء , وكان من أعز الأصدقاء وأجل الأوفياء , ولوكان غيره يعرف ما يعرفه عني لتسبب بنهايتي في الحال , فالوشاة ما أكثرهم , والمداهنون ينتشرون في كل مكان. تذكرت صديقي الكربلائي الوفي الأمين , وأنا أتلقى الطعنات من أقرب الناس الذين بذلت ما أستطيعه وبلا مقابل لتيسير أمورهم , وتقليل همومهم , لكنهم أنكروا كل جميل وتمادوا في الإنتقام والتعطيل.

و" رب أخ لك لم تلده أمك"

"ولا خير في ود امرءٍ متلونٍ...إذا الريح مالت مال حيث تميل"

كان أمينا ووفيا وما أباح
بأسراري , وكان الوحيد الذي
يعلم عن نيتي في مغادرة
البلاد , وعدم قناعتي بما
تجري عليه الأمور في بلد
تقوده العواطف والإنفعالات
والأوهام العقائدية , وكم مرة
قال لي أعرف ما يجول في
خاطرك , وعليك بالصبر.

غادرت البلاد وتواصل معي ,
لكنني سمعت بخبر وفاته
المفاجئ , كان صديقي
الوفوي يعاني من مشكلة في
قلبه وكم مرة رقد في
المستشفى بسبب إضطراب
دقات قلبه

هو من كربلاء وأنا من سامراء ,
وكان من أعز الأصدقاء وأجل

الأوفياء ، ولو كان غيره يعرفه
ما يعرفه عندي لتسبب بهمايتي
في الحال ، فالوشاة ما أكثرهم ،
والمداهنون ينتشرون في كل
مكان

أميز في مواقفه كبير
وفي من سجاياه يُجبر
تواشجت النفوس بما اعتراها
وما خشيت إذا عرف الأمير
رجالاً بها الأوطان تحيا
مكرمة على أقي تسيّر

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiMuquarabetPsy10.pdf>

**** * * * * *

شبكة العلوم النفسية العربية

رقيا بعلوم وطب النفس، لصحة نفسانية أفضل

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2026 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBarabpsynet.pdf>

كتاب " حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBarabpsynet-AIHassad2024.pdf>

التحميل من المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2026

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBarabpsynetGoldBook.pdf>

التحميل من المتجر الإلكتروني

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2026

اشتراكات العضوية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

عضوية " الشريك المميز "

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=126&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الذهبي "

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

عضوية " الشريك الماسي "

http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3